

## مجلة «المشرق» بين الأمس واليوم (١٨٩٨-١٩٩٨) استمرارية وتطورات

الأب كميل حشيمه البوعوي °

منذ مائة سنة بالتتمام، وفي مطلع الشهر الأول من العام ١٨٩٨، صدر بكر أعداد مجلة المشرق البيروتية بعد أن اتخذ اليسوعيون قرار إصدارها قبل خمس سنوات<sup>(١)</sup>. وكانوا قد خاضوا ميدان الطباعة والنشر في لبنان منذ نحو نصف قرن، إذ طبعوا كتابهم الأول بالعربية في بيروت العام ١٨٤٨ وأتبعوه بعد ذلك بعشرات من أمثاله<sup>(٢)</sup>، كما أنهم باسرو إصدار صحيفة البشير في العام ١٨٧٠. إلا أن الرهبان شعروا بأن هذه الدورية وتلك المنشورات لم تكن كافية، ورأوا أن الحاجة ماسة إلى ظهور مجلة كاثوليكية واسعة الآفاق شاملة الموضوعات، تراكب حاجات العصر ونقف إلى جانب مثيلاتها العلمانية التي بدأت تتكاثر في بيروت والمشرق. ولعل صدور المقتطف في العام ١٨٧٦ والهلال وصيفتها في ١٨٩٢، كان الحافز على إطلاق مبادرة اليسوعيين<sup>(٣)</sup>.

(٥) مدير مجلة المشرق ودار المشرق

(١) ثبت لنا، بعد مراجعة محفوظات الرهبانية اليسوعية، أن فكرة إنشاء المشرق تبلورت حوالى العام ١٨٩٢. راجع مقالنا: كميل حشيمه، «اليسوعيون ومجلة المشرق: تاريخ وأعلام»، المشرق، ٦٥ (١٩٩١)، ص ٩-١٠.

(٢) Sébastien Ronzevalle, S.J., *L'Imprimerie Catholique et son œuvre en Orient*, Beyrouth, 1903.

(٣) توقفت المقتطف عن الصدور في آخر العام ١٩٥٢. أنا الهلال فما زالت تصدر في العاصمة المصرية، وهي الآن أقدم صحيفة عربية على قيد الحياة، تليها مباشرة مجلة المشرق.

عشرة عقود من عمر المشرق انقضت، فلا بد من وقفة تأمل: لرفع آيات الشكر أولاً إلى العزة الإلهية، فمنها كل بادرة خير ومنها فيض النعم التي نالتها مجلتنا طوال حياتها المديدة. ثم لا بد من هذه الوقفة لاستعراض المنجزات، فينشجج الخلف بما يراه من آثار السلف، كما لا مندوحة عن مراجعة الماضي والتدقيق في طياته لتقويم العمل وإصلاح ما طرأ من خلل سعيًا للأفضل.

## أولاً: مسيرة في أربع مراحل

إن استجلينا صفحات المشرق لرسم صورتها في السنوات الغابرة، لاحظنا أن المجلة مرت بمراحل أربع، اتسمت كل واحدة منها بطابع مميز سوف نستشفه من خلال عرض سريع، ثم نتقل، في قسم ثان من مقالنا هذا، إلى التقييم والتقويم.

### ١ - المرحلة الأولى: مع الأب لويس شيخو (١٨٩٨-١٩٢٧)

إنطلق شيخو بالمجلة وهو في الأربعين من عمره، موفور الهمة، مكتمل العدة الثقافية والعلمية، وقد طار صيته بين الكتاب والعلماء الشرقيين منهم والمستشرقين. فأصدر صحيفته في البدايات مرة كل خمسة عشر يوماً ببينة كراس أبيض الطباعة تناهز صفحاته الثماني والأربعين، فتولف في نهاية العام مجلداً ضخماً بنحو ألف ومائتي صفحة، مشفوعاً بفهارس منوعة دقيقة، أحدها بمحتويات السنة مرتبة بحسب تواريخ ظهورها، والآخر بأسماء كبة المجلة ومقالاتهم، والثالث بالمطبوعات التي ورد وصفها، والرابع والأخير لمواد السنة مرتبة على طريقة حروف المعجم. وقد سار شيخو طوال حياته على أسلوب الفهرسة هذا ونهج خلفاؤه جميعاً النهج عينه حتى يومنا. وظلت المجلة تصدر مرتين في الشهر حتى نهاية عامها العاشر، ثم راحت تصدر، مع حلول العام ١٩٠٨، مرة واحدة في الشهر بحيث تبلغ صفحاتها السنوية ألف صفحة.

أما هدف المجلة المنشود وأسلوب العمل فيها فقد يتنهما شيخو في

المشرق

مجلة كاثوليكية تصدر مرتين في الشهر بوسوم وتصاريح عند اللزوم

تحتوى على أخبار الشرق واليهودية والسياسة

بإدارة آباء كلية القديس يوسف لصاحب امتيازها الأب لويس شيخو اليسوعي

السنة الأولى

١٨٩٨

تبعه الاشتراك ١٢ فرنكاً لبيروت و١٥ فرنكاً للتارج

طبع في بيروت بالمطبعة الكاثوليكية للأب. اليسوعيين سنة ١٨٩٨

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

Sous la direction des Pères de l'Université S<sup>t</sup> Joseph

*Paraissant le 1 et le 15 de chaque mois*

*en un fascicule de 48 pages, grand in-8°*

*avec illustrations selon les besoins du texte.*

PREMIÈRE ANNÉE

1898

Prix de l'abonnement annuel: Beyrouth 12 francs — Union postale 15 francs.

BEYROUTH

Imprimerie Catholique

1898

(الصفحة الأولى من عدد المشرق الأول).

مقالته الافتتاحية<sup>(٤)</sup>، ومما قاله: «إن اسم مجلّتنا الجديدة ينطق بنفسه عن غايتنا ويقوم مقام لائحة مطوّلة، إذ أثّرنا باختياره أن نبيّن لأهل الوطن أن جلت مرغوبنا التحزّي لكلّ الأبحاث المتعلّقة بالشرق والطوائف الشرقية وتفضّلها على سواها ثلّما يقال إنّ الغريب أدري بما في البيت من أهله، لا سيّما ولا تزال نرى كثيرين من الأجانب يعكفون على تتبع أخبار بلادنا واستبطان أحوالها». ولبلوغ هذه الغاية كانت خطّة أصحاب المجلّة «وضع المقالات التي رأيناها أنسب لفائدة العموم وأوقع لديهم مع تهيئة عدّة فقرات ونُبذ جامعة لشذور آداب الدنيا والدين ومصنّقات تاريخية وفتية ولغوية وطبيعية وغير ذلك من المعارف لم نمشّن منها سوى السياسيّة ومتعلّقاتها». وأضاف شيخو إلى ذلك رغبته في رفق المجلّة بما يصدر عند الغربيّين من شريف الأعمال والاكتشافات في جميع الميادين، ليقندي بهم أبناء الشرق ويسيروا في معارج العمران والحداثة. وأتخذ للمجلّة شعار من الكتاب المقدّس هو الآية: «إنّ الله نور وليس فيه ظلام البتّة»<sup>(٥)</sup>.

وما إن صدر العدد الأوّل من المشرق حتّى تواردت على الإدارة رسائل المهتمّين والمنشطين من كبار رجال الدين والدنيا وصفوة علماء البلاد والمشرقيّين<sup>(٦)</sup>. ومن مظاهر تقدير العامّة والخاصّة وفرة المشتركين الذين سرعان ما ناهز عددهم الخمسمائة بعد مدّة وجيزة، كما أنّ عدد المجلّات التي بادلت رصيفتها الجديدة زاد على الأربع والثلاثين في أوروبا وأميركا، إضافة إلى مجلّات البلاد الشرقية<sup>(٧)</sup>.

إلا أنّ الدرلة العثمانية سعت غير مرّة لعرقلة سير المجلّة. وبالرغم

(٤) المشرق ١ (١٨٩٨)، ص ١-٤.

(٥) رسالة يوحنا الأولى، ٥/١.

(٦) أطلب نماذج من تلك الرسائل في المشرق ١٨ (١٩٢٠)، ص ٢ و٣ باللغة الإنكليزية في آخر المجلد. وثمة مقتطفات ممّا كتبه مشرقون بالإيطالية والفرنسية والألمانية. راطلب أيضًا: كميل حشبه، «من رسائل الأدباء والمشرقيّين إلى الأب لويس شيخو»، في المشرق ٦٤ (١٩٧٠)، ص ٤٣١-٤٣٢.

(٧) شيخو، «عمل المشرق في ربع قرن»، المشرق ٢٥ (١٩٢٧)، ص ٩٢٧. Scb.

Ronzavalle, op. cit., p. 133-134.

من حياد أصحابها عن المسائل السياسيّة، فقد أوقفت الصحيفة عن الصدور ثلاث مرّات لبعض عبارات لم يتبّه إليها شيخو أو غفل عنها المراقب قبل الطبع. بل صدر الأمر مرّة بتعطيل المشرق بدون أن يُعرّف السبب، ففضي على مديرها استئناف طلب الرخصة لإعادة إصدارها، ولم تعد المجلّة إلى الظهور إلّا بعد مضيّ شهرين ويتوسّط السفارة الفرنسيّة. وكان شيخو لا يجري إلّا «بكلّ حذر لئلا يعثر القلم بإيراد بعض الألفاظ الملقاة من القاموس العثمانيّ كالحريّة والاستبداد والمَلِك ومُراد وحמיד وغيرها كثير كما يتّنها المرحوم سليم سرّكيس في كتاب نوادره ضرائب المكتويجي»<sup>(٨)</sup>.

ويتابع شيخو قائلاً: «وكان آخر عهدنا مع الدولة التركيّة في خريف سنة ١٩١٤ وقد كاد يصدر العدد الأخير من المشرق لستها السابعة عشرة، فلم نتجزه إلّا بعد الحرب إذ أقفلت مطبعتنا الكاثوليكيّة ووضع الأتراك يدهم على كاتبتنا»<sup>(٩)</sup>.

ولمّا وضعت الحرب أوزارها في نهاية ١٩١٨، أعدّ شيخو عدته لاستئناف العمل وصدرت المجلّة في مطلع ١٩٢٠ منطلقة بمجلدتها الثامن عشر، تُزوّد القراء، على نحو ما فعلت سابقاً، المقالات الدينيّة والجدليّة والفلسفيّة والاجتماعيّة والأثريّة والأديبيّة واللغويّة والفنيّة، وتفرد صفحات مطوّلة لمراجعة آخر ما يصدر من الكتب. كما أنّها تابعت خطتها العزيزة على مؤسّسها، وهي نشر المخطوطات القديمة التي تُعنى بشؤون الشرق. فمما صدر من قديم النصوص ونال استحسان العلماء وشكرهم: في الفلسفة وعلم اللاهوت، نصوص لأبي قرّة ويولس الراهب وعبد يشوع ويحيى بن عدّيّ وحُجّين بن إسحاق؛ وفي التاريخ كتابات لصالح بن يحيى وابن صاعد الأندلسيّ؛ وفي الأدب لابن مرزبان والثعالبيّ؛ وفي الشعر ديوانيّ سلامة بن جندل والسموأل؛ وفي اللغة وفقهاها كُتب للأصمعيّ

(٨) المشرق، ٢٥ (١٩٢٧)، ص ٩٢٧.

(٩) ٥٠ ن.

وأبي زيد الأنصاري ونور الدين الحُصَيْن. وما هذا إلا غِيْضٌ من فيض.  
أما الذين ساهموا في تحرير المجلَّة فأرى عددهم على الثلاث مائة  
وجميعهم، إلا في ما ندر، من ذوي الاختصاص المشهود لهم بسعة  
المعرفة وصرامة التدقيق في البحث. وإنا نذكر منهم، على سبيل المثال  
لا الحصر، أبرزهم:

فمن رجال الإكليروس المطارنة أفرام الرحمانِي الذي أصبح  
بطريركًا على السريان الكاثوليك، وجرمانس معقد مؤسس الجمعية  
اليوسُيَّة، ويولس سلمان صاحب المقالات العديدة في شؤون شرق  
الأردن، ويوسف الدبس رئيس أساقفة بيروت المارونيَّة، وعبدالله الخوري  
المارونيَّة، وإقليمس يوسف داود السريانيَّة، وأدي شير الكلدانيَّة. ومن  
الكهنة الخوري أسقف جرجس شلحت السريانيَّة الحلبيَّة، والمونسنيور  
يوسف العلم وله في المجلَّة قصائد عديدة ومقالات فقهية، والآباء أدي  
صليبا أبرهينا العراقيَّة، وإسحق أرملة السريانيَّة المؤرِّخ، وأنتاس  
الكرملِي الذي حرَّر عشرات المقالات في اللغة والأدب وأحوال  
الشعوب، وتوما أيوب الحلبيَّة، وقسطنطين الباشا المؤرِّخ، ويطرس  
ورفائل البستانيَّة، وإسطفان البشعلانيَّة الذي أنشأ عددًا من الروايات  
الأدبية، ولويس بليل المؤرِّخ، وتيموثاوس جقِّي، وإبراهيم حرفوش،  
وميخائيل الرجيبي، ويطرس رفائيل، وعبد المسيح زهر، ويطرس ساره،  
وأنطونيوس شبلي، وسليمان صانع الذي أصبح في ما بعد مطران الكلدان  
في الموصل، والشاعر الكبير الخوري يوحنا طقوس، ويطرس عزيز،  
ويوسف علوان المرسل اللعازريَّة، ويوسف العمشيتيَّة، ويطرس غالب،  
ومارون غصن، ويطرس فرج صفيير، ويوحنا مرتا من كهنة اللاتين في  
القدس، والاب أغسطينس مرمجي الدومينيكيَّة، وجرجس منش الحلبيَّة.

ومن العلمائتين، الأدباء والشعراء: الأمير شكيب أرسلان، حبيب  
إسطفان، مخائيل موسى ألوف، فؤاد أفرام البستانيَّة، الشيخ أحمد تقى  
الدين، الشيخ سليم الدحداح، عبدالله رعد صاحب المقالات في أحوال





ولادة المجلة، ومع ختام المجلد الخامس والعشرين الصادر في نهاية العام ١٩٢٧، أسلم الأب لويس شيخو روحه إلى ربه في السابع من كانون الأول (ديسمبر)، مطمئناً إلى ما قدّمت يده من عمل مبرور مشكور كما بدا ذلك من خلال مقاله الجامع وتقويمه الشامل المعنون «عمل المشرق في ربع قرن»<sup>(١٣)</sup>. كان العمل هذا إنجازاً جبارة حقاً، لذا خصّصناه بالتفاصيل الموسّعة، لا سيّما أنّه وضع الأسس التي استمرّت عليها المجلة في مراحلها اللاحقة.

## ٢ - المرحلة الثانية: ١٩٢٨-١٩٥٠

خلّف المؤسس في الربع القرن الثاني من حياة المشرق أربعة مديريين من رفاقه اليسوعيين تعاقبوا حيناً وتناوبوا حيناً آخر. وأولهم كان المستشرق البلجيكيّ العلامة هنري لانس الذي تبوأ منصبه مدة ست سنوات، وتبعه الآباء رينه مورتد الفرنسيّ عالم الآثار، فالأب روبر شدياق اللبنانيّ، فالأب بول كورون (Coron) مدير المطبعة الكاثوليكيّة، يعاونهم نفر من العلامتين المثقفين، أبرزهم تلميذ شيخو وصديقه العلامة فزاد أفرام البستانيّ. وقد أُتيح لكلّ من مورتد والشدياق أن يتبوأ الإدارة على دفعتين، في حين تسلّم كورون منصبه في أواخر زمن الحرب الكونيّة الثانية فأصدر من المجلة أربعة أعداد خاصّة بدت بحلّة مختلفة عن سابقتها، وإخراج فنيّ ملحوظ، وعدم انتظام في مواعيد ظهورها. أمّا ما خلا ذلك من الأعداد فلم يطرأ عليه شيء من التغيير في الشكل، إلا أنّ عدد الصفحات السنويّة تدنّى إلى سبعمئة، ثمّ إلى نحو ستمئة وخمسين مع حلول العام ١٩٣٤، وصارت المجلة آنذاك تصدر أربع مرّات في السنة<sup>(١٤)</sup>.

(١٣) المشرق ٢٥ (١٩٢٧)، ص ٩٢٥ وما يليها.

(١٤) يلاحظ أيضاً من جهة الشكل تطوّر لا يخلو من دلالة. فلما كانت المقالات في المرحلة الأولى يلبى بعضها بعضاً حيثما ينتهي في الصفحة، باتت في المرحلة الثانية لا تبدأ إلاّ في مطلع الصفحة لتكون كل منها مستقلة عن سابقتها. وذلك يتمّ على تحسين في الإخراج من جهة، وعلى تأكيد فريدة كلّ مقال من جهة أخرى.

# المشرق

مجلة عربية تُبحث في الآداب والعلوم

تأسست في العام ١٨٩٨ سلسلة جديدة الجزء الأول . كانون الثاني - آذار ١٩٤٦

## فهرس المواد

صفحة

١	بفلم لورس خليل	نهضة الشعرية الحديثة
١٠	يوسف غصوب	ليلة الميلاد ١٩٤٥
١٤	الحوري اسحق ارملة	تصاري غسان والريان
٣٧	الدكتور احمد فؤاد الامرواني	ابو الحسن النابسي
٤٥	رشدي طارف	نحن والذوق
٥١	الاب روفائيل غله اليسوعي	الشعر الثنائي المرمري في تركية (نتائج)
		تقد ومطالعة :
٦٣	صبيح التهنود	الحرية - غلراء
٧٢	حيب سيوني	خبايا الزوايا من تاريخ صيدنايا
٧٨	لورس خليل	عل هامس للموقف الدولي

المطبعة الكاثوليكية . بيروت . لبنان

(فهرس أحد أعداد المشرق في سلسلتها المؤقتة ١٩٤٤ - ١٩٤٦).

وطوال ربع القرن المذكور ظلّ هدف المشرق المعلَن ثابتًا، تنبّه به جملةٌ وجيزة مطبوعة على ظهر ورقة الغلاف تقول إنّ رائد المجلة هو «خدمة لبنان وسائر البلدان الشرقية دينًا ولغةً وتاريخًا وثقافةً عامّة». وهذا ما تمّ بالفعل، إذ تطرّق المؤلّفون إلى جميع الموضوعات التي عُني بها سابقوهم في المرحلة الأولى، مع ما توجّب من تكييف يلائم متطلبات العصر وروحه الجديدة. ومن هذا المنطلق قلّ عدد المقالات الجدليّة على نحو ملحوظ حتّى كاد أثرها يزول. وتلاشت أيضًا، أو كادت، المقالات العلميّة المبسّطة لأنّها لم تعد ضروريّة كما كانت في مطلع القرن حيث المدارس قليلة ووسائل التواصل نادرة. وعلى العكس، ازداد عدد المقالات التي تُعنى بالأدب والشعر الحديث والتاريخ والإسلاميّات وعلم الآثار والفنون ومنها السينما، واتّسمت بما تفرضه عليها شخصيّة كلّ مدير، إذ تُطبع المجلة بطابعه الخاصّ من حيث يدري أو لا يدري.

أمّا الكتاب الذين لفتوا بمقالاتهم الأنظار في تلك المدّة، فمنهم من ورد ذكره قبلاً، لا سيّما فؤاد أفرام البستانيّ ريوسف غصوب في الأدب، وحيّيب زيات والآباء إسحق أرملة وأنطونيوس شبلي وهزري لامنس في التاريخ، والأمير موريس شهاب والأب رينه موترد في علم الآثار؛ ومنهم من جاء جديدًا، نخصّ بالذكر أغزرهم مادّةً أو أشهرهم صيتًا: المطران أغوسطين البستانيّ، الآباء الكهنة فريد جبر اللعازريّ (فلسفة)، أنثاسيوس الحاج الباسيليّ الشويريّ (تاريخ)، لويس الخازن (فته وتاريخ)، لويس خليل (تاريخ، أدب، اجتماعيّات)، بولس سباط (تاريخ)، منصور عوّاد (تاريخ)، نيقولاوس قادري (آباء الكنيسة)، بولس قرألي (آباء الكنيسة)، بولس مسعد (تاريخ).

وممن برزت أسماؤهم من الأدباء غير رجال الدين: عثمان أمين، بطرس البستانيّ، محمود تيمور، جبرائيل جيّور، القانونيّ أنور حاتم، إدوار حنين، لحد خاطر، أمين خالد، يوسف أسعد داغر، حلّيم دمّوس، أسد وستم، محمّد أحمد طلس، الشاعر سعيد عقل، القانونيّ شكري القرداحي، كرم ملحم كرم، صلاح لبكي، رشدي المعلوف، صلاح الدين

المتجدد، رشيد نخله.

ونذكر من المستشرقين: رجييس بلاشير، إلياس جون جيب، جان ستاركي، جان صوفاجيه، يوسف شخت، غاستون فيت، إسطفان لفي بروفنسال؛ ومن الآباء اليسوعيين: فليكس سوانيون، إسطفان لاثور، أندريه لوجينال ويولس موترد.

### ٣ - المرحلة الثالثة: ١٩٥١-١٩٧٠

في مطلع العام ١٩٥١ تسلّم الأب إغناطيوس عبده خليفة إدارة المشرق وظلّ في منصبه حتى أوائل ١٩٧٠، إذ انتخب مطراناً ونايماً للبطريك الماروني، فخلفه الأب كميل حشيمه لتصرف الأعمال حتى نهاية العام، حيث قرّر رؤساء الرهبانية اليسوعية إيقاف المجلة «حتى إشعار آخر»، كما ورد في عدد السنة الأخير، ليستى إعادة النظر في الأساليب والتوجهات. إلا أنّ الحرب المدمرة التي عصفت بلبان وأودت بحياة عدد غير قليل من اليسوعيين، أجلت إعادة الصدور حتى سكوت المدافع وعودة بعض الهدوء في مطلع العام ١٩٩١.

وعندما تولى الأب خليفة منصبه الجديد، كتب في مطلع العدد الأول من ١٩٥١ معلنًا برنامج المجلة وقوامه التمسك بالروح التي وجهت المشرق سابقًا، مع المحافظة على معالجة الموضوعات المتخصصة، وتناول شؤون الساعة أيضًا لمساعدة المثقفين «على اكتشاف وجهة لهم في التفكير والحياة»<sup>(١٥)</sup>. وصدرت المجلة ستّ مرّات في السنة بمجموع صفحات يناهز السبعمئة وخمسين، وبدت بغلاف شرقي المظهر جميل حافظت عليه وما زالت حتى يومنا هذا.

وقد تميّزت تلك الحقبة بظاهرة جديدة هي إدراج مقالات باللغة الفرنسية لبعض المستشرقين مما طبع المجلة بطابع التخصص المرّكز. وقد ساعد في ترسيخ تلك الظاهرة التوسّع أحيانًا غير قليلة بحجم المقالات،

(١٥) المشرق ٤٥ (١٩٥١)، ص ٢.

فكانت صفحات بعضها الكثير تتعدى السبعين، ولم يندر أن نُشرت في العدد الواحد دراسات ومخطوطات بحجم كتاب كبير<sup>(١٦)</sup>. وهذا ما اعتبره بعضهم خروجًا جزئيًا على خطّ المجلّة التقليديّ لأنّه بمضاعفة الأحجام تقلّ نسحة التتبع. وقد يكون هؤلاء على حقّ أو قد لا يكونون، فإنّما الأمور رهن مواقيتها.

ومهما يكن، فقد ساهم في رفد المجلّة بالدراسات القيّمة كوكبة من العلماء بين رجال دين ودنيا، نذكر بعضهم: الآباء فرنسيس اليسريّ (طقوس وعقيدة)، يوسف حتّي (فقه كنسيّ)، مخايل ضومط (فلسفة)، أنطون طريه (عقيدة)، أنطون حميد موراني (فلسفة)، وهؤلاء الخمسة أصبحوا لاحقًا أصاقفة من أجبّار الكنيسة المارونيّة. وكذلك الآباء إسحق أرملة (تاريخ)، لويس بلبيل (تاريخ)، مبارك ثابت (تاريخ)، ميشال الحايك (تاريخ، أدب، إسلاميات)، يوسف حيقه (لغة سريانية وتاريخ)، مخايل الرجّي (تاريخ وطقوس)، بطرس ماره، إغناطيوس سركيس، أنطونيوس شبلي، أنطون ضوّ (كتبوا جميعهم في التاريخ)، نيقولاوس قادري (نصوص الآباء)، يوسف قوشاقجي (ترجمة الكتاب المقدّس).

ومن الآباء اليسوعيين: جاك پلامار (علم الفلك)، موريس تالون (آثار)، فردينان توتل (أدب، تاريخ، اجتماع)، كميل حشيمه (أدب)، جان دانيلو الذي أصبح كردينالًا في ما بعد (عقيدة)، فيكتور شلحت (فلسفة)، كارلوس شدّ (تاريخ)، جان كابلوس (عقيدة)، فرنان ديه لانفّرسان (عقيدة)، أندره لوجنيسال (شؤون اجتماعية)، جان مصيريان (عقيدة وشؤون أرمنيّة)، رفائيل نخله (لغة وأدب). وكانت بالطبع حصّة الأسد للأب خليفة الذي دَبّج بضع عشرة مقالة عالج فيها شؤون بين فكريّة

(١٦) مثلاً: مقال ميشال حايك: «الراهبة هنديّة»، المجلّد ٥٩ (١٩٦٦)، ص ٥٢٥-٧٣٤؛ (٢١٠ صفحات)؛ مقال إميل أبي نادر: «الخوري حتّا طتروس»، المجلّد ٦١ (١٩٦٧)، ص ٦٤٧-٧٧٨ (١٣٢ صفحة)؛ مقال الأب إغناطيوس عبده خليفة: «كتاب العلم الطبيعيّ ليوسف بن شمعون الحصريّ المارونيّ»، المجلّد ٦٢ (١٩٦٨)، ص ٤٩٣-٨٩٤ (٤٠٠ صفحة وتيف).

واجتماعية ولاهوتية، بالإضافة إلى نشره عددًا كبيرًا من المخطوطات، معظمها يمتد إلى التصوف الإسلامي.

ومن العلماء والأدباء غير الإكليريكيين نذكر من أبناء الشرق: ألبير زكي إسكندر (الطب عند العرب)، عادل أنبوا (الرياضيات عند العرب)، فزاد أفرام البستاني (أدب)، لحد خاطر (تاريخ)، حبيب زيات (تاريخ)، كوركيس عواد العلامة العراقي (جغرافيا وخزائن الكتب)، بشر فارس (فنون إسلامية)، ماجد فخري (فلسفة إسلامية)، رياض المعلوف (شعر وتاريخ)، عيسى إسكندر المعلوف (تاريخ وتراث)، جرجي إبراهيم نصر (تراجم أعلام لبنانيين)، عثمان يحيى (تصوف إسلامي)، يوسف إبراهيم يزيك (تاريخ).

ومن المشرقين الأب ألبير فان دن براندين (كتابات عربية قديمة)، شارل بلا، وكان يكتب بالعربية مباشرة (أدب عباسي)، الأب توما بوا الدومينيكي (أحوال الأكراد واليزيديين)، ييار ووندو (اجتماع)، ماريتيانو رُونكاليا (تاريخ الأقباط وعقيدتهم)، الأب جان ستاركي (الديانات السامية).

#### ٤ - المرحلة الرابعة: ١٩٩١ - ...

عادت المشرق إلى الصدور في العام ١٩٩١ بعد توقفها القسري الذي لمنا إليه في مطلع الفقرة السابقة، وصادف رجوعها إلى النور حلول مناسبتين مهمتين، إذ كانت الرهبانية اليسوعية تحتفل في تلك السنة بمرور ٤٥٠ عامًا على تأسيسها و٥٠٠ عام على مولد مؤسسها القديس إغناطيوس ده لويولا. فانتهزت الإدارة الجديدة الفرصة لإصدار عدد مميز أريت صفحاته على الخمسمائة (٥١٨ بالتمام)، وأفردت فيها مقالات خاصة بالمناسبات الثلاث، بالإضافة إلى موضوعات أخرى فكرية وتاريخية واجتماعية وأدبية وفلسفية، إلى معالجة شؤون مسكونية وإسلامية، وتعريف موسع بمؤلفات حديثة تطرقت إلى شؤون حساسة. فبدأ ظاهراً منذ الانطلاق أن المجلة كانت «مؤمنة بأهمية الاستمرار على

خطة السلف، لما نجم عنها من ثمار وافرة أنقلت آلاف الصفحات على مدى اثنين وسبعين عامًا، وبضرورة شق سبل جديدة في الأسلوب والمضمون تُطوّر القديم وتكمله»<sup>(١٧)</sup>.

وأضاف لسان حال المجلة موضحًا الخطة التي رُسمت لها: «فلا بدّ أولًا أن تحافظ المشرق على ما تبته الدهر في نهجها القديم، وتستظلّ مجلة ثقافة جامعة تُعنى بشؤون الدين والدنيا، لا سيّما ما هو منوط بالشرق، تعالج الأدب والتاريخ واللغة والفنون والعلوم وتشر المخطوطات المغمورة. وهي في كلّ ذلك إنّما تسعى إلى ملاحظة واقع الحياة الدنيّة والثقافيّة والاجتماعيّة وظواهرها، فتحلّل التيارات والتطوّرات، وتبدي الرأي وتتخذ الموقف. وإلى ذلك ستجتهد في ترقّب علامات الأزمنة لاستجلاء المستقبل والمساهمة في تشييد بنائه، معتمدة دائمًا أبدًا سابق شعارها: «إنّ الله نورٌ وليس فيه ظلّة البتّة»، متلدةً إلى الحوار أكثر منها إلى الجدال، مؤثرةً الانفتاح والخروج إلى الآخرين على الانزواء والاكفاء بالذات»<sup>(١٨)</sup>.

وبالفعل سارت المجلة في سنواتها السبع الأخيرة (١٩٩١-١٩٩٧) بموجب البرنامج هذا والروح هذه، وتجلّى انفتاحها بإدارة جديدة في ما يتعلّق بإدارتها. فقد بقي للمشرق مدير، هو كاتب هذه السطور، ولكن وقف إلى جانبه رئيس تحرير، هو الأب سليم دكّاش، وبعاونيما أمين سرّ وهيئة واسعة من المستشارين يُعول عليهم باستمرار. وهذه الهيئة تشمل اثني عشر عضوًا نصفهم من اليسوعيّين ونصفهم الآخر من الشخصيات الأكاديميّة البارزة في جامعات مختلفة، كما أنّ المستشارين يتمون إلى لبنان وسورية ومصر، وهي الدول الثلاث التي يشملها إقليم الشرق الأدنى في الرهبانيّة اليسوعيّة.

وعلى نحو ما رُوِيَ التنوع في تشكيل هيئتي الإدارة والاستشارة،

(١٧) المشرق ٦٥ (١٩٩١)، ص ٣-٤.

(١٨) م.ن.، ص ٤.

سهر المعنيون على تنوع مصادر المقالات، فتعددت جنسيات المؤلفين وانتماءاتهم الفكرية والمذهبية. وقد أجرينا حول هذا الأمر إحصاءاً طريفاً نرى أنه لا يخلو من فائدة على غير صعيد. وفي ما يلي نتائجه:

توزيع المؤلفين بحسب فئاتهم وأعدادهم		
المؤلفون	من ١٨٩٨	من ١٩٩١
	إلى ١٩٧٠	إلى ١٩٩٧
	(٦٤ مجلداً)	(٧ مجلدات)
اليسوعيون الشرقيون ...	٢٦ = ٤,٢٥%	١٦ = ٢١,٦٢%
اليسوعيون الغربيون أو المستشرقون	١٠٢ = ١٦,٦٣%	٢٠ = ٢٧,٠٣%
كهنة آخرون شرقيون ...	١٦١ = ٢٦,٢٧%	٧ = ٩,٤٦%
كتاب شرقيون مسيحيون ...	٢١٤ = ٣٤,٩١%	١٥ = ٢٠,٢٧%
كتاب شرقيون مسلمون ...	٣٨ = ٦,٢٠%	١٣ = ١٧,٥٧%
كتاب مستشرقون ...	٧٢ = ١١,٧٤%	٣ = ٤,٠٥%
المجموع ...	٦١٣ = ١٠٠,٠٠%	٧٤ = ١٠٠,٠٠%

ویدعونا هذا الجدول إلى إيداء جملة من الملاحظات:

١ - كانت حصيلة نسبتي اليسوعيين الشرقيين والمستشرقين ترازوي في الحقبة الأولى ٢٠,٨٨ بالمائة من المجموع، في حين ارتفعت إلى ٤٨,٦٥ بالمائة في الحقبة الثانية. وهذا الارتفاع قابله بالطبع تدنُّ في نسب ثلاث من الفئات الأخرى: الكهنة الشرقيين، الكتاب الشرقيين المسيحيين، المستشرقون. وهذا الأمر طبيعي. فالإكليريكيون كانوا يكثرون الكتابة في المشرق مطلع القرن وحتى منتصفه لأنَّ المجلات الممينة بالشأن المسيحي ذات المستوى كانت قليلة، أمَّا اليوم فزاد عددها زيادة ملحوظة لا سيَّما بهمة الرهبانيات الشرقية والرابطة الكهنوتية. وكذلك صار لغير الإكليريكيين إمكانيّة النشر في عدد كبير

من المجلات الرفيعة المستوى التي تصدر عن الجامعات وسائر الهيئات الفكرية والثقافية.

ب- وعلى العكس يُلاحظ ارتفاع نسبة اليسوعيين الشرقيين، وهو أمر يفسر في ضوء تشديد الرهبانية اليسوعية المتزايد على الانخراط في الثقافة العربية عامة والمشرقية خاصة.

ج- من منطلق انفتاح الرهبانية المتنامي على الثقافة العربية والإسلامية يُتهم ارتفاع نسبة الكتاب المسلمين في المجلة. وما شرعت به المشرق منذ سبع سنوات، لا بل قبل ذلك، يحاكي توجيهات الإرشاد الرسولي التي رسمها قداسة البابا يوحنا بولس الثاني للمسيحيين اللبنايين، ومن خلالهم لجميع المسيحيين المشرقيين، لينفتحوا وساهموا مع إخوانهم المسلمين في بناء وطن مشترك وثقافة مشتركة.

د- زيادة على ما ورد في الجدول، تجدر الإشارة إلى أن الكتاب الثلاثة والسبعين الذين ساهموا أخيراً في تحرير مقالات المشرق يتسمون إلى ست عشرة دولة: الأردن، إسبانيا، إيطاليا، بلجيكا، تشيلي، سورية، العراق، فرنسا، فلسطين، لبنان، مالطا، المجر، مصر، نيجيريا، هولندا، الولايات المتحدة الأميركية. وهذا بدون شك دليل انفتاح وشمولية.

هـ- وأخيراً، لاحظنا من جراء الإحصاء ظاهرة جديدة اتّسمت بها المجلة في طورها الأخير، وهي دخول العنصر النسائي بكثافة في صفوف محرريها. فقد رصّدتنا أسماء سبع سيدات، وجميعهنّ من حملة الشهادة الجامعية الأعلى، في حين لم نسجّل في المراحل الثلاث الأولى سوى اسمين فقط<sup>(١٩)</sup>. وهذه الظاهرة الجديدة هي أيضاً من علامة العصر عامة ومن مواصفات المشرق الجديدة خاصة.

---

(١٩) السيدة الأولى هي الراهبة كليتين خياط، روت حوادث جرت في عين ايل - جنوب لبنان - في المشرق ١٨ (١٩٢٠)، ص ٧٧٩ وما يليها؛ والثانية هي روز حاري، كتبت عن «الملكات العربيات قبل الإسلام»: م.ن. ٤٢ (١٩٤٨)، ص ٢٨٩ وما يليها.

ومن الظواهر الجديدة التي اتّسمت بها المرحلة الأخيرة إصدار أعداد خاصة يركّز فيها على محور معيّن أو ما يُعرف أيضًا بالملف. فبالإضافة إلى ملف السنة الأولى الخاص بالرهباية اليسوعيّة، كان ثمة ملفّات عن حقوق الإنسان (١٩٩٢)، الدين (١٩٩٣)، الرسالة البابويّة بهاء الحقيقة (١٩٩٤)، التربية (١٩٩٥)، اللغة العربيّة (١٩٩٦)، علم لاهوت الأديان (١٩٩٦).

تلك كانت جولتنا عبر المراحل التي مرّت بها المشرق، تجلّت لنا من خلالها الخطة التي سارت عليها، والأقلام التي حيرت صفحاتها، وما طرأ عليها من تمثّر أو تحسين أو تجديد. بقي لنا أن ننظر الآن مليًا إلى مضامينها، وكيف عُولجت، وما ظهر فيها، هي أيضًا، من تطوّرات.

### ثانيًا: معالمُ أساسيّة وتقويم

جميع الذين تعاقبوا على إدارة المشرق أصروا على التزامهم النهج الذي رُسم في البداية، فأعلنوا أنّهم سيتناولون، في أبحاث المجلّة، كلّ ما يمتّ إلى قضايا المشرق خاصّة، ماضيه وحاضره، لإعلاء شأن الثقافة في البلاد، بالإضافة إلى بناء صرح الإيمان وتثبيت المُثل الأخلاقيّة العليا. فكيف عالجوا تلك الشؤون، وهل أفلحوا؟

للإجابة عن هذا السؤال المزدوج، ولتسهيل التقويم، سنجمع الموضوعات التي خاضت فيها المجلّة، في أقسام أربعة نرى أنّها تشمل الكلّ وتختصره، وهي: اللغة العربيّة؛ فنشر المخطوطات العربيّة القديمة لا سيّما المسيحيّة منها؛ فالآداب والعلوم كافّة؛ من أدب، وتاريخ، وعاديات، ورحلات ثقافيّة، وعلوم طبيعيّة واقتصاديّة، وننون؛ فالعلوم الدينيّة والفلسفيّة وما يواكبها من تيارات فكريّة تتعلّق بجوهر الإنسان وتطلّعاته الروحيّة.

### ١ - «المشرق» واللغة العربيّة

شغف مؤسس المشرق، منذ حداثة، بلغة الضاد، ولا عجب فهو

ابن ماردین من أعمال ديار بكر، القبيلة العربية العريقة التي دانت مدةً بالمسيحية. وعلى الرغم من أنّ أبناء منطقته كانوا بمعظمهم ينطقون بالسريانية إلى جانب العربية، وعلى الرغم من محاولات التريك التي كانت السلطات العثمانية تلجأ إليها بين الحين والحين، إلا أنّ شيخو شعر وهو لا يزال يافعاً بأهميّة العربية وما تحمله من غنى تراثي، وما كان للمسيحيين في تاريخها من دور لا يمكن التناهي عنه. لذلك اضطلع، وهو طالب شاب في الرهبانية، بمسؤوليات تربوية دفعته إلى تدريس اللغة العربية وآدابها في ثانوية اليسوعيين ببيروت، وقد أُلّف آنذاك، من جملة الكثير الذي أُلّفه في حقل لسان سيويه، كتاب قواعد أسماء نزهة الطرف في مختصر الصرف<sup>(٢٠)</sup>، وكتاباً آخر لخدمة المستشرقين، حرّره باللاتينية وبالاشتراك مع الأب ألفريد دُوران اليسوعي - Durand<sup>(٢١)</sup>.

وعليه، فكان من الطبيعي أن ترفع المشرق لواء لغة العرب وتذود عن حياضها. ومما يلفت النظر أنّه لم تكد المجلّة تصل إلى منتصف ستها الأولى حتّى كتب شيخو مقالاً بعنوان «دّرس العربية» فنّد فيه بشدّة مزاعم الذين يتهمون اليسوعيين بأنهم لا يشجعون دراسة العربية<sup>(٢٢)</sup>. وبعد مدة، صنّف مقالاً آخر عنوانه «اللغة العربية في مدرستا الكلية»<sup>(٢٣)</sup>، سار فيه على المنوال نفسه، وذكر عدداً كبيراً من الأدباء المرموقين خريجي المعهد المذكور. وفي السنة عينها نشر صديق اليسوعيين وأستاذ العربية عندهم، المعلم رشيد الشرتوني، سلسلة مقالات أسماها «محادثة لغوية»، قارع فيها، ندياً للند، إمام الضاد الشيخ إبراهيم اليازجي<sup>(٢٤)</sup>.

(٢٠) طبع في بيروت العام ١٨٨٥ (٦٨ صفحة).

*Elementa grammaticae arabicae, cum chrestomatia, lexico, variisque notis*, (٢١) Beyrouth, 1896.

(٢٢) المشرق ١ (١٨٩٨)، ص ٦٩٩-٧٠٤؛ وانظر ص ٤٤٠-٤٤٨ مقال الأبوين هنري لامنس وأنتانس ماري الكرمليني يدققان من خلاله في بعض المعربات. وانظر أيضاً القواعد الصارمة التي وضعها لامنس لنقل الأعلام الأجنبية إلى العربية (المشرق ٤: ٧٧٥-٧٧٨).

(٢٣) م. ٥. ١٩٠٢، ص ٩٢٢-٩٣٢.

(٢٤) م. ٥. ١٩٠٢، ص ٣٢٦-٣٢٢، ٣٧٥-٣٧٢، ٤١٩-٤٢٢، ٤٧٢-٤٧٥.

ولم تكفِ المجلة بانتهاج خطة الدفاع، بل كانت تسلك أيضًا طريق الإيجاب فتحت على حبّ العربية وتبين السبل إلى تحسينها. ومن مقالاتها البارزة في هذا الباب واحدة من تأليف الحكيم أمين الجميل، جدّ رئيس الجمهورية اللبنانية الحامل اسمه، عنوانها «الرأي العامّ في عشرات الأقلام»<sup>(٢٥)</sup> ودعا فيها، بقلم لم يتعثر وأسلوب ناصع، إلى حبّ اللغة العربية حبًا مخلصًا. ولحقه شيخو بعد أشهر معدودة فكتب، تحت عنوان «الوسائل لترقية العربية»<sup>(٢٦)</sup> مقالًا دعا فيه إلى التمسك بالتقليد مع مراعاة جانب التطوير. ومما طالب به إنشاء مجمع لغويّ يُصدر نشرةً له رسميةً، وقاموسًا شاملًا يُخصّص فيه الدخيل والمعرب، ويقرّ مفردات اصطلاحية للعلوم العصرية، ويراقب استعمال المتكلمين فينبذ المقيم ويقبل السليم المستساغ، «فلكلّ زمان كلام واستعمال» و«لنا أسوة في القرآن نفسه «العربيّ المبين» الذي لم يأنف من استعمال عدّة لغات غير لغة قریش بلّغها أبو بكر الواسطيّ في كتابه الإرشاد خمسين لغةً» (ص ١٠٥٠). وبعد بضع سنوات حذا حذو شيخو من هذا القليل الأديب إدوار مرقص، عضو المجمع العلميّ العربيّ بدمشق، فانتقد بشدّة الأديب حسن الشريف الذي تجرّأ بمقال له في مجلة الهلال القاهرية أن يدعو إلى تبسيط قواعد الجداول تبسيطًا رأى مرقص أنّه مجحف بحقّ العربية<sup>(٢٧)</sup>.

ومما تجلّى فيه حبّ المشرق العربية الناصعة، دفاعها عنها في وجه من سعوا إلى إحلال العاميّة مكانها، منهم الخوري مارون غصن الذي عرّف، مع ذلك، بكتاباتة الكثيرة بالفصحى. فانبهر له الأب أنطون صالحاني وقارعه بمقال أسماه «خطر جسيم أو اللغة العاميّة»<sup>(٢٨)</sup> يبين فيه تناقضات الخوري المذكور، منها أنّه اضطرّ إلى الكتابة بالفصحى ليعلن مشروعه على الملأ فيفهموه! وبعد أيام معدودة نهض شيخو أيضًا وانتقد

(٢٥) المشرق ٢٠ (١٩٢٢)، ص ٤٩٥-٥٠٠.

(٢٦) م.ن ٢٠ (١٩٢٢)، ص ١٠٤٣-١٠٥١.

(٢٧) م.ن ٢٧ (١٩٣٩)، ص ١-١٢.

(٢٨) م.ن ٢٣ (١٩٢٥)، ص ١٣١-١٤٣.

الخوري غصن بمقال عنوانه «حقوق اللغة العامية بإزاء اللغة الفصيحة»، ومما قاله في ختام مقاله مخاطباً العامة: «إن اللغة الفصيحة أقرب إليكم من قاب قوسين (...). وهاكم تسمعون كل يوم قراءة الإنجيل باللغة الفصيحة ولا أحد منكم يطلب أن يقرأ باللغة العامية، وتتلون كل صلواتكم باللغة الفصيحة...»<sup>(٢٩)</sup>.

إلا أن المشرق لم تستكف من أن تكب على العامية بصفة كونها ظاهرة حضارية لا بد من الالتفات إليها ودّرسها. لذا نشرت في أول عهدها مقالاً للمشرق الألماني مارتن هرتمن بين فيه «أهمية جمع خواص الكلام الدارج» (المشرق ١ : ٧٩٠)، ثم بعد نحو ثلاثين سنة، مقالاً للأديب الشهير توفيق يوسف عواد درس فيه الشعر العامي وعروضه ومزاياه وقيمتها، وافية إياه حقّه المشروع<sup>(٣٠)</sup>. وكذلك لم تر حرجاً في أن تُثبت دراسة للأديب الرصين يوسف غصوب عرض من خلالها مشروعاً لتحسين الأبجدية العربية<sup>(٣١)</sup>، قوامه تفكيك الحروف المطبعية بعضها عن بعض ورسم كل حرف منها على حدة شأن الأحرف في معظم لغات العالم. ومن مزايا هذه الطريقة تنقيص عدد الأحرف لأن «أشكال الأحرف العربية لا تنقص عن ١٥٠٠ شكل بين أحرف أولية، وأواخر، وأواسط، وحركات، وضوابط، إلخ». إلا أن المجلة لم تذهب إلى أبعد من تلك الاتراحات. ولما حاول بعضهم الإيغال والمطالبة باتخاذ الحروف اللاتينية لرسم الكتابة العربية، ومنهم أحد أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية، عبد العزيز تهيمي باشا، في جلستي ذلك المجمع يومي ٢٤ و ٣١ يناير ١٩٤٤، لم توافقه المشرق. وكتب أحد مسؤوليها آنذاك، الأب لوريس خليل، مقالاً نقدياً بين فيه، بالاستناد إلى محمود تيمور بك والشيخ عبدالله البستاني، وبأسلوب علمي دقيق، عدم جدوى التخلي عن الأبجدية العربية العريقة التي ليست من الصعوبة على النحو الذي يتخيله

(٢٩) المشرق ٢٣ (١٩٢٥)، ص ١٦٠-١٧١.

(٣٠) م. ٥٠. ٢٨ (١٩٣٠)، ص ٤٣٦-٤٤٣، ٥٠١-٥٠٨.

(٣١) «إصلاح الأبجدية العربية»، م. ٥٠. ٢٨ (١٩٣٠)، ص ٢٩-٣٤.

فالواضح من كل ما سبق أنّ المشرق أبليت البلاء الحسن في الدفاع عن نصاعة لغة الضاد، وسعت إلى ترقيتها مع مراعاة جانب تراثها التليد. وهل هذا الأمر بغير عن مجلة كان من أركانها لويس شيخو محقق فقه اللغة للعالمية، وأنظرون صالحاني صاحب أجود تحقيق لديوان الأخطل، ولويس المعلوف واضح المنجد، أشهر معجم عصري للغة العربية؟

## ٢ - «المشرق» ونشر المخطوطات العربية

لم تعد الدورات الثقافية العربية قبل شيخو إلى نشر المخطوطات على نحو ما راج في الغرب، فكانت المشرق سبّاقة في هذا المجال. ذلك بأنّ اهتمام شيخو البالغ بجمع المصنّعات للخزانة الشرقية التي أنشأها في بيروت، جعله يلمس لمس اليد ما تكتتزه الخبايا من ثروات دُفنت في بطون المخطوطات، فأراد إبرازها إلى النور. وما كانت تمضي أسابيع معدودة من حياة مجلته حتى ينشر فيها، هر أو زملاؤه، مخطوطاً ثميناً. وقد صدر في المشرق منذ إنشائها أكثر من مائتين وستين مخطوطاً بعضه بحجم كتاب يظهر متسلسلاً على دفعات ثمّ يطبع كاملاً، وسرعان ما ينفد. وكان شيخو يركّز على المخطوطات التي ألّفها مسيحيون عرب أو التي تُعنى بالشأن المسيحي، فاستطاع بذلك أن يساهم مساهمة فعالة في تبديل نظرة العامة والخاصة إلى دور المسيحيين في الآداب العربية منذ القدم وعمق تأثيرهم فيها.

وإذا ما ألقينا نظرة إلى أنواع المخطوطات المنشورة وجدناها تتوزع بحسب الفئات التالية: المخطوطات الفلسفية: ٢٥؛ المخطوطات التاريخية: ٥٤؛ الأدبية: ٨٦؛ الدينية: ٩٩. وجدير بالذكر أنّ بين المخطوطات الدينية ٨٧ تهمة المسيحية، و١٢ تتعلق بالإسلاميات، وهذه الأخيرة كلّها لم تصدر إلّا بدءاً من الخمسينيات لما تسلّم الأب خليفة زمام

الإدارة. والانفتاح، على هذا الصعيد، واضح.

وما يلفت الانتباه في عملية النشر التي قامت بها المشرق، أنّ المجلّة سلكت فيها مسلك العلم الحديث مع ما يفترضه من مقارنة روايات المخطوط وإثباتها، وفكّ ما استعجم بالعودة إلى القرائن التاريخية والنصّية. وقد أشاد أحد كبار العلماء، الأب أوغسطين مرمرجي اللومينيكي، بتميّز المشرق هذا في مقال له بعنوان «طريقة في العلم مُعيبة» نذد بأساليب بعض الناشرين المصريين الذين لا يكلفون أنفسهم جهد البحث الرصين فيسرقون جنى أتعاب سواهم، وحثّهم على تبني الطريقة العلميّة التي يتبجحها في المشرق اليسوعيون من أمثال الأب لامنس<sup>(٣٣)</sup>.

وما دمتا في موضوع التزوير، وهو يتنافى والروح العلميّة التي سعت المشرق إلى أشاعتها في البلدان العربيّة، فقد شنت المجلّة، كلّما سنحت الفرص، حملاتٍ قاسيةً على الناحلين. وأوّل سهم أطلق كان على يد شيخو يوم كتب مقالاً عنوانه «نظر انتقاديّ في المطبوعات المصريّة»<sup>(٣٤)</sup>، ثمّ عقبه سهم ثانٍ في مقال بعنوان «الأدب العربيّ منذ نشوب الحرب العموميّة»<sup>(٣٥)</sup>، وكانت الطعنة الثالثة مقالة مرمرجي المذكورة. وبعد نحو خمسة عشر عامًا هبّ العلامة حبيب زيات، الشهير بمؤلّفاته الموثقة، بفضح سطو بعض مدّعي العلم على أعماله<sup>(٣٦)</sup>. ولم تميض سنوات قليلة أخرى حتى اضطرّ أحد المداومين على الكتابة في المشرق، المؤرّخ الأب أنطونيوس شبلي الراهب اللبناني، إلى التشهير بانتحال اثنين من مؤلّفاته، فحرّر في ذلك مقالةً عنوانها: «معارضة نصّ كتابين مخطوطين بنصّ كتابين مطبوعين»<sup>(٣٧)</sup>. وبعد استعادة المشرق مسيرتها في مطلع التسعينيات طُفح الكيل بكاتب هذه الأسطر، إذ شاهد بضعة عشر من إصدارات الدار التي

(٣٣) المشرق ٢٩ (١٩٣١)، ص ٣٣٣-٣٤٠.

(٣٤) م.ن. ١١ (١٩٠٨)، ص ٤٣٤-٤٤٠.

(٣٥) م.ن. ١٨ (١٩٢٠)، ص ٤٨٩، المقطع الثالث.

(٣٦) نشر السراقات الأديّة سرقات المعلمين، م.ن. ٤١ (١٩٤٧)، ص ٤٣٧-٤٤١.

(٣٧) م.ن. ٤٧ (١٩٥٣)، ص ٦٦-٧٧.

تُنشر المشرق تُتَهَب وتُطْع في عدد من البلدان العربية والمجاورة، فألّف مقالةً موثقةً فضح من خلالها السارقين ومسرقاتهم<sup>(٣٨)</sup>. ويبدو أنّ تكاتف المشرق وعددٍ من نظيراتها في مصر ولبنان حول هذه القضية كان له بعض الأثر في تنبيه الرأي العام إلى خطر تلك الآفة، فقد خَفّ تواترها بعض الشيء، إلا أنّ الجرثومة متأصلة، ويا للأسف، في نفوس بعض الناشرين والكتّاب الشرقيين وفي ضمائرهم، هذا إن بقي عندهم ضمير<sup>(٣٩)</sup>!

### ٣ - «المشرق» يآزاء الأدب والعلم والفنّ

لَمَّا انطلقت المشرق في غاية القرن التاسع عشر، كان العصر لا يزال عصر انتقال. فالنهضة العربية لم تكن اكتملت بعد، إن في المجال العلمي أو على الصعيد الأدبي. ولَمَّا كانت مجلة شيخو وليدة عصرها، فقد تأثرت حتّى بأساليه الأدبية ونظرت إلى العلم.

أ - فإن طلبنا المقالات التي تبحث في الأدب، بمعناه الحصريّ الحديث<sup>(٤٠)</sup>، لفت نظرنا بعض الأمور:

١. أ - توجّهت المشرق أكثر ما توجّهت لا إلى الأدب الصرف، بل إلى تاريخ الأدب. فمؤسّسها وغالبيّة معاونيه كانوا رجال علم وبحث لا يهتمون بالإبداع الخيالي بقدر ما يلتفتون إلى دُرُس الوقائع ونقدها وتصنيفها. من هنا نُفهم دراسات شيخو المستفيضة في «تاريخ الآداب العربية» و«النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية»، والمقالات العديدة التي كتبها في السنوات المتأخّرة الأب فردينان توتل حول الحركة الفكرية في بعض البلدان العربية، أو عشرات الدراسات التي قام بها

(٣٨) عنوان المقالة: «هل نترحم على حقوق المؤلفين في شرقنا؟»، المشرق، ٦٦ (١٩٩٢)، ص ٦٧-٧٤.

(٣٩) أطلب المشرق ٧٠ (١٩٩٦)، ص ٢٤١-٢٤٧ حيث التنديد بسرقة كاتبتين من كُتب دار المشرق، أحدهما لكاتب هذا المقال. وثمة سرقات أخرى صُبّطت في العام ١٩٩٧، والحبل على الجرار!

(٤٠) تعني هنا بالأدب لا الآداب هائمة وما تشمله التسمية من معارف وعلوم، بل ما كان من مستظرف كالشعر، والمؤلّفات الشعرية التي تُعنى بالرواية والمسرح والنقد والخواطر والرحلات وتسمى إلى سكبها في قالب يراعي الجماليات.

الباحثون في عدد كبير من مظاهر الحياة الأدبية<sup>(٤١)</sup>.

٢.١ - في كل مرة نشرت المشرق مقالات أدبية صرفة، كانت بنت عصرها، تجري في بداياتها مجرى التقليد، وتحرّر، بمرور الزمن، مع مَنْ تحرّر من الأدباء. فالقصائد القليلة التي ظهرت على صفحاتها في سنيها الأولى، كانت، على الرغم من مستواها اللغوي الرفيع وسموّ معانيها، تمتّ في معظمها إلى شعر المناسبات<sup>(٤٢)</sup>. لكنّ الإدارة التي خلفت شيخو راعت النظّر والظروف المتجدّة وأفسحت في المجال أمام الشعراء المجدّدين، فإذا بالشاعر الكبير سعيد عقل ينشر مأساته بنت يفتاح على صفحات المجلّة في ستها الثالثة والثلاثين<sup>(٤٣)</sup>، ويليّه سواء من المجدّدين الكبار، أمثال: يوسف غصوب<sup>(٤٤)</sup>، وشبلي الملائط في نماذج من تمثيلته حسناء بيت فلوي أو يهوديت<sup>(٤٥)</sup>، وإلياس أبو شبكة بقصيدته «الوحوش»<sup>(٤٦)</sup> وحليم دمّوس<sup>(٤٧)</sup>، وسواهم.

٣.١ - في ما يتعلّق بالتقدّ الأدبيّ، برهنت المشرق منذ أوّل عهدها أنّها سلكت مسلكاً حديثاً نأى عن التقيّظ التقليديّ الفارغ أو العموميّات. ولا عجب في ذلك إذا ما تذكّرنا أنّ شيخو هو مصنّف كتاب علم الأدب بجزءيه علم الإنشاء والمروض (١٨٨٩)، وعلم الخطابة (١٨٩٠)، وقد

---

(٤١) مثلاً: «النهضة الأدبية في طرابلس»، بقلم جرجي يني (٣٥: ٢٧١-٢٧٥)؛ «بعض مظاهر الشعر المصريّ: الشعر التشيليّ»، بقلم فؤاد أفرام البستانيّ (٢٨: ٨٥٥ وما يليها)؛ «الأدب وتطوّره في جبل عامل»، للشيخ عليّ الزين (٤٠: ٢٩-٦٠)؛ «مظاهر الأدب في جبل اللوز»، لسعيد أبو الحسن (٤٠: ٦١-١٢٤)، إلخ...  
(٤٢) أطلب مثلاً تصانيد الخوري رفائيل البستانيّ، أستاذ الأدب العربيّ في مدرسة الحكمة البيروتية: ١١ (١٩٠٨): ٨٩٩-٩٠١؛ ١٣ (١٩١٠): ٥٩-٦٢؛ ٢٠ (١٩٢٢): ٢٤٥-٢٤٦...

(٤٣) المشرق ٣٣ (١٩٣٥): ٢٢٤-٢٦١.

(٤٤) م.ن. (كانون الأوّل ١٩٤٤)، ص ٢.

(٤٥) م.ن. (كانون الثاني ١٩٤٥)، ص ٢٣-٣٠.

(٤٦) م.ن. (تشرين الأوّل ١٩٤٥)، ص ٣٩-٤١.

(٤٧) «الفرّ» م.ن. ص ٥٣-٥٥.

تجلّى في تأليفه هذا سلامة ذوقه ورهافة حسّه على ما طُبع عليه من روح علميّة موضوعيّة صارمة. ويتأكد ذلك للقارئ لدى مطالعة بعض مقالات شيخو النقدية، كمثل ما قاله في تعريفه ديوان شعر الرصافي<sup>(٤٨)</sup>، إذ يطرب علامتنا لما يستشقه من رقة أحاسيس تتجلّى في أبيات الشاعر البغداديّ، وينوره به ويدواوين منواه من العصرتين اللذين جاء شعرهم وفيه «رونق جديد مرتديًا بثوب قشيب يتدفق رقةً ويستفيض حسنًا، فترى المسلمين والنصارى يتبارون في هذا الميدان ويأتي كلّ شاعر بما لم يدر على الحسان»<sup>(٤٩)</sup>. ونظرة شيخو إلى الشعر هي نفسها نظرة إخوانه اليسوعيين. فها هو ذا الأب خليل إدّه<sup>(٥٠)</sup> يقول في ختام مقال له حول الشعر: «لو رسخ في عقول كثيرين أنّ الشعر أو البلاغة غايتها إبراز الجمال، وأنّ الجمال مبنيّ على الحقيقة، لما بذلوا جلّ مساعدهم في استتباط غرائب المعاني»<sup>(٥١)</sup>.

ويلفت النظر في قول الأب إدّه تركيزه، إلى جانب الجمال، على الحقيقة. فالجمال والحقّ متلازمان في موقف اليسوعيين من الأدب، وهو طبيعيّ عند أناس يؤمنون، في خطى الفلسفة اليونانية، بأنّ الجمال والحقيقة والصلاح ثلاثة وجوه لواقع واحد هو، في النهاية، سيّان والله. ومن هذا المنطلق أولّت المشرق الناحية الخلقية في ما تناولته بالنقد، أهميّة كبرى. فعلى سبيل المثال؛ وبالعودة إلى مقال شيخو في شعر الرصافيّ، لم ينسّ الراهب اليسوعيّ أن يُشير إلى أنّه يتمنّى لو تُنزع من الديوان بعض الأوصاف العشقية التي، وإن لم تبلغ المجون وخرق الآداب، من شأنها أن تُثير في مخيلة الصغار أهواء القلب الباطل»<sup>(٥٢)</sup>.

لكنّ نقله اللطيف هذا يتحوّل غضبًا عارمًا عندما يواجّه، في المقال نفسه، بعض ما كبه أمين الريحانيّ، فينهال عليه نقدًا لاذعًا لقاء ما كاله

(٤٨) المشرق ١٣ (١٩١٠)، ص ٣٧٩-٣٩٢.

(٤٩) م.ن. ص ٢٨٠.

(٥٠) هو شقيق رئيس الجمهورية اللبنانية الراحل إميل إدّه (١٨٨١-١٩٤٩).

(٥١) المشرق ٧ (١٩٠٤)، ص ٨٢٦.

(٥٢) م.ن. ١٣ (١٩١٠)، ص ٢٨١.

هذا الأديب من التهكم بالقيَم التي يؤمن بها شيخو وبالله. ولَمَّا كان الريحاني يشبه الناس أمثاله بالجرذان القابعين في قبر هذه الدنيا العظم لا يعرفون الغاية من وجودهم، نعت صاحب المشرق، في ختام مقاله، بـ «الجرذون الأكبر»، وهو الاسم الذي اختاره لنفسه، فليتمتع به»<sup>(٥٣)</sup>.

ولئن شدَّد الأب شيخو في نقده الأديبي على الناحية الأخلاقية، ومثله فعل لاحقاً زميله الأب رفائيل نخله في مقالاته النقدية الكثيرة، (المشرق ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢)، إلا أنَّ المجلة اليسوعية فتحت صدرها لغير أسلوب مؤسَّسها، وراحت أقلام عدد كبير من الأديباء المعاصرين تتناول الحديث عن الأعمال الثرية والشعرية بأسلوب لا يهمل النواحي الإنسانية بدون أن يركِّز شديد التركيز على الخُلُقَات. من هذه الدراسات القيِّمة نذكر، مثلاً لا حصراً، مقالات فؤاد أفروم اليستاني «في الشعر المصري»<sup>(٥٤)</sup>، مقالة سعيد عقل في يوسف خصوب<sup>(٥٥)</sup>، وجان عزيز في أفاعي الفردوس لأبي شبكة<sup>(٥٦)</sup>، وعن أبي شبكة أيضاً مقالاً للأب ميشال حايك<sup>(٥٧)</sup>، وقلم حايك أيضاً دراسة في شعر فوزي المعلوف بليغة العنوان كسابقتها<sup>(٥٨)</sup>، ودراسة لعارف تامر بعنوان «الغزل في شعر مزبد الجَلِّي الأسدي»<sup>(٥٩)</sup>.

(٥٣) المشرق ص ٣٩٠. - اطلب أيضاً ما قاله شيخو على هذا النحو في نقد «بدائع جبران خليل جبران وطرائفه»، في المشرق ٢١ (١٩٢٣): ٤٨٧-٤٩٣؛ ومقالات أمين خالد الكثيرة في الأديب المذكور (٣٠: ٤٢٥ وما يليها؛ ٣١: ١٠٨ وما يليها). ومما عابه خالد على صاحب النعت ويسوع ابن الإنسان «أنَّ تغلُّب الحبِّ الغريزي في أهمِّ مؤلِّفات جبران بل في أمه يوجهه الإجمال - وإن كان ضرورياً للقرن - فهو غير كافٍ لخلود شيء من هذه المؤلِّفات على مدى السنين، لآته ينقصها ركن مهم من أركان البقاء الفني وهو عنصر الإفضلية الأخلاقية» (م.ن. ٣٠: ٥٢٢).

(٥٤) م.ن. ٢٥ (١٩٢٧)، ص ٥٤٣-٥٥٠، ٦٢٢-٦٢٥، ٦٧٢-٦٨٦.

(٥٥) م.ن. ٣٥ (١٩٣٧)، ص ٣٩١-٤٠٠.

(٥٦) م.ن. ٣٦ (١٩٣٨)، ص ٥١٤-٥١٩.

(٥٧) «الحبُّ الصاعد في نفس أبي شبكة»، م.ن. ٤٥ (١٩٥١)، ص ٢٩٢-٣١٧.

(٥٨) «قلق الحلود في شعر فوزي معلوف»، م.ن. ص ٤٧٤-٤٩٨.

(٥٩) م.ن. ٥٠ (١٩٥٦)، ص ٤٤٩-٤٦٥.

٤. ١ - الروايات الخيالية. لما انطلقت المشرق سعت إلى تنويع أهدافها ما أمكن لتصيب عدّة عصفير بحجر واحد. ومما قاله شيخو في مقاله الافتتاحي (١٨٩٨، ص ٤): «ولما كانت غايتنا أن نجتمع في هذه المجلة بين الأمور المفيدة والمبهجة معًا، أحيينا أن نفرّد بعض صفحات لروايات خيالية نتخذها وسيلة لتفكيه المخيلة وطريقة لتمثيل عوائد الأمم المختلفة في أحوالها وتواريخها ورسم تخومها ووصف آثارها». ولئن نعجب من لجوء مجلة رصينة كالمشرق إلى مثل هذا النوع الأدبي، إن نحن تذكّرنا أنّ جميع المجلات الأدبية في نهاية القرن الماضي كانت تنحرف المنحى ذاته لعدّة أسباب: منها الحاجة إلى إرضاء شريحة من القراء كانت، مع افادتها من المقالات العلمية الموثقة، ترتاح إلى ما هو أقلّ تبخّرًا منها وأسهل منالًا؛ ومنها ندرة الروايات في الأسواق؛ ومنها فوائدها للتثقيف المبسّط كما يبيّن شيخو في ما سبق.

ومن هذا المنطلق أخذت المشرق تنشر بتواتر روايات جمعت إلى التشويق والطرافة الفائدة الأدبية والأخلاقية. وسعت، من خلال جودة ما تقدّمه، إلى منافسة ما يُنشر في الأسواق من الروايات التي لا ترتقي إلى المستوى المطلوب، علمًا أنّ اليسوعيين في ذلك الزمن، شأنهم شأن الكثيرين من رجال الدين والدنيا معاصريهم، كانوا متشدّدين من جهة الخلقيات. ولنا في ما كتبه الأب أمييدي لوريول في أوائل السنة الأولى من المجلة، خير تعبير عن رأي إخوانه في هذا المجال<sup>(٦٠)</sup>.

فمما كتبه أنه «إذا كان بين الروايات الخيالية هذا العدد اليسير الذي يُؤمّن على قارنه من الخطر، فإنّ العدد الأكبر، لسوء الحظّ، خطر جدًّا»، فالروايات الخيالية تلبّل المخيلة وتفسدها، ولا تكترث لما يُشير إليه العقل الصائب والذوق السليم، كما أنّها تمجّ وصايا الأدب وحن النظام. «ولا يتنصّل قراء هذه الحكايات المختلفة بقولهم إنهم بمطالعتها يصرفون فقط بعض أوقاتهم بيهجة وهناء. فنقول إنّه لمن

(٦٠) المشرق ١ (١٨٩٨)، ص ٤٦٣-٤٦٥، ٦٥٢-٦٥٧ بعنوان «في الروايات الخيالية».

المستحيل أن لا يبقى لهله القراء أثر سبي في نفس فارثها. وعليه، فالمطلوب من أرباب المدارس ومن الوالدين المسيحيين أن يتلافوا هذا الشر العظيم ويحيوا إلى أبنائهم «مطالعة الكتب الأديّة الصالحة وتآليف العلوم الراهنة والأسفار والتواريخ الصادقة التي تنشط الهمم وتبعث القرائح إلى معالي الأمور وشريف الأعمال»<sup>(٦١)</sup>. وقد ساهم في إنشاء روايات المشرق الهادفة، مدّة أربت على ربع القرن، عدد كبير من الكتاب، مدتيّن وديتتين، بينهم علماء وقورون من أمثال الآباء لامنس، وأنطون رباط، وشارل أبيلا، وشيخو نفسه، وبشارة خليل الخوري الذي أصبح لاحقًا أول رئيس جمهورية في لبنان المستقل.

وبعد وفاة المؤسس، تابع المسيرة تلميذه فؤاد أفرام البستاني، ولكنّ الروايات التي نشرها نحت المنحى التاريخي، وسرعان ما توقفت المشرق عن معالجة هذا الفنّ في منتصف الثلاثينيات بسبب تبدل الذهنيّات من جهة، وعدم الحاجة بعد ذلك إلى نشر القصص الهادفة لتوقرها بين أيدي القراء من جهة أخرى<sup>(٦٢)</sup>.

ب - «المشرق» والعلم: ترقية العلوم والروح العلميّة

ب. ١ - كما اهتمت المشرق بالأدب وفنونه، وجمت اهتمامها أيضًا إلى العلوم كافة بغية إعلاء شأنها في الشرق، سواء الإنسانيّة منها كالتاريخ والجغرافيا والاجتماع، أو الطبيعيّة منها والفيزيائيّة والرياضيّة.

أمّا العلوم الإنسانيّة فيجدر التركيز فيها على التاريخ، إذ أولته المجلّة كلّ رعاية لأنّه من الأهميّة بمكان لبيان حاضر البلاد المشرقيّة ومستقبلها، وظلّت إلى اليوم تفرد لهذا الباب عددًا وفيرًا من صفحاتها.

وأما العلوم البحتة فتبدلت نظرة المجلّة إليها بتبدل الزمان

(٦١) المشرق ص ٦٥٦-٦٥٧.

(٦٢) وثقة استثناء حصل، إذ نشرت المجلّة في المنة التي انتشرت بعلّة مجلّدة في أواخر الحرب الكوتيّة الثانية، نصّة بقلم الروائيّ الكبير كرم ملحم كرم عنوانها «جهاز المروس» (المشرق، كاتون الثاني ١٩٤٥، ص ٤٩-٦٣).

والأحكام. في البدايات كانت الحاجة ماسة إلى نشر المعلومات، وحثت المشرق حذو المجلات العلمية الرصينة من أمثال المقتطف، فقدّمت إلى قرائها الكثير الكثير من المقالات العلمية في كلّ باب، يحترها اختصاصيون مشهود لهم بالكفاية كالأب زُموين في الجيولوجيا، والأب لويس رُونزفال ووديع صبرا في الموسيقى الشرقية، والأب إسكندر طوران في علم الحيوان، وسليم أصفر في الزراعة، وعدد من الأطباء النطاسيين الأدباء في علم الصحة، كالدكاترة أمين الجميل وشاكر الخوري ونابوليون مارتي وحبيب درعوني. ولما تقدّم تلقين العلوم والمعارف في المدارس، وخفت الحاجة إلى أن تعالج مجلة جامعة كالمشرق ما كانت تعالجه في هذا الباب للتعميم، رأت أن لا تتابع في هذا الخطّ، اللهمّ إلا إذا استجدت موضوعات حسّاسة ينبغي التوقّف عليها. ومن الدرامات التي نظّرت إلى العلوم المستحدثة في السنوات المتأخّرة، ما كان بقلم الأب فرنسوا دويره لاتور، عميد كليّة الطبّ اليسوعية في بيروت والدكتور في الفيزياء وفي الطبّ البشريّ، حول «تحويل المادّة إلى طاقة والطاقة إلى مادّة في المختبر والكون»<sup>(٦٣)</sup>، والأب شارل نيرون حول «العناصر النزرة في كيمياء الأحياء»<sup>(٦٤)</sup>، والأب برتلماوس كوجوي بعنوان «عندما الأرض تهتزّ...»<sup>(٦٥)</sup>، والأب جاك بلاسار الفلكيّ مدير مرصد اليسوعيين في كسارة (قرب مدينة زحلة) بعنوان «تاريخ عيد الفصح: ما رأي العلم فيه؟»<sup>(٦٦)</sup>.

ب. ٢- ولم تقتصر المشرق على تعميم العلوم وتوفير المعلومات، بل اجتهدت دوماً لتثيغ الروح العلمية في ما تقدّمه من أبحاث. وعلى الرغم من أنّ شيخو بالّغ في عدد من استنتاجاته في ما يتعلّق بنصرانية

(٦٣) المشرق ٤٦ (١٩٥٢)، ص ٣٤٩-٣٥٨.  
 (٦٤) م.ن. ٤٨ (١٩٥٤)، ص ٢٠٤-٢٠٧.  
 (٦٥) م.ن. ٥٢ (١٩٥٨)، ص ٦١٢-٦١٥.  
 (٦٦) م.ن. ٦٦ (١٩٩٢)، ص ٤٥٥-٤٦٠.

بعض الشعراء الجاهليين<sup>(٦٧)</sup>، إلا أنه دَرَج ومعارنيه على مراعاة الدقة في التقييد، والأمانة في الرجوع إلى المظان، والصرامة في قبول الروايات. وإبداء الأحكام. وقد غدت بعض مؤلفاته التي أطلقها مقالات متسلسلة في مجلته قبل جمعها ونشرها في مجلدات مكتملة، مراجع لا مندوحة عنها لكل باحث وطالب علم. ويسري القول نفسه على مقالات هنري لامس في التواريخ اللبنانية والعربية، وقد رأينا في أعلاه تقرير الأب مرمجي أسلوبه العلمي<sup>(٦٨)</sup>. ولا بأس من إيراد ما كتبه أحد كبار المستشرقين الإيطاليين، جوزيبي (يوسف) غبريالي، ممتدحا مقالات الأب سيستيان رونزفال في الزبء ملكة تدمر وبعض الكتابات التدمرية<sup>(٦٩)</sup>. قال ما تعريبه: «في سبيل الدراسات التاريخية ولتسهيل عمل الدارسين... فرجو أن يتفضل الأب العالم رونزفال فيقل هو نفسه إلى إحدى اللغات الأوروبية رسالته القيمة، مستعملا أيضا الكتابات التدمرية الأخرى الاثني عشرة التي نشرها وأبرزها بكل ما أوتي من علم وسبق في المشرق السنة الماضية»<sup>(٧٠)</sup>.

ج - وماذا الآن عن «المشرق» والقرن؟ كما يلفت النظر أن المجلة لم تول هذا الباب في مطلع عهدها ما كان يُتَظَر أن توليه صحيفة ثقافية مثلها. ونعني بالقرن التعبير عن مثل الجمال من خلال الإنجازات البشرية التي تسمو بالنفس فتثقفها وتنشئها. فلويس شيخو لم يكن من المولعين

(٦٧) أطلب سلسلة أبحاثه في هذا الشأن في المشرق ١٣ (١٩١٠)، ص ٧٨١ وما يليها؛ وقدنا بعض مراقبه وتعديلهما في كتابنا *Louis Cheikho et son livre «Le christianisme et la littérature chrétienne en Arabie avant l'islam»*, Dar el-Machreq, Beyrouth, 1967؛ ومقالنا في المشرق: ٦٤ (١٩٧٠)، ص ٢٩٧-٣٢١: «الأب لويس شيخو وشعراء النصرانية في الجاهلية».

(٦٨) أطلب الحاشية ٢٣. (٦٩) م. ن. ١، (١٨٩٨)، ص ٤٣٣ وما يليها.

(٧٠) «Nell'interesse degli studi storici e per comodità degli studiosi (...) ci auguriamo chè il dotto padre Ronzevalle voglia lui stesso tradurre in qualcuna delle lingue europeo la sua pregevolissima Memoria, utilizzando anche le altre dodici iscrizioni palmirene da lui pubblicate ed illustrate con tanta erudizione nel Mashreq dell'anno passato» (Giuseppe Gabrieli, *Rivista Bibliografica Italiana*, 1899).

بالفنّ ويبدو أنه لم يكن حتى من الملمّين به، فهو رجل علم وعمل، لا بل رجل عمليّ. لذا نرى أنّ غالبية المقالات التي عالجت في البدايات فنّاً معيّنًا، إنّما كانت تدرس الفنون، من حيث هي إنجازات عمليّة أقرب ما تكون إلى الحرف والصناعات. فحرّرت دراسات حول «فنّ الملاحة في الشرق» (١ : ٢١٧)، و«ترقيّ فنّ الحرب البحريّة» (١ : ٥٢٩)، و«ترقيّ فنّ المناطيد» (٤ : ١٠٩)، و«أصل فنّ الصيدلة في المشرق» (٢ : ٨١) إلخ... كما نُشرت دراسات في مثل هذا النوع من «الفنون» أو الصناعات من دون أن تُطلّق عليها تلك التسمية جهازًا، فكانت مقالات في «السيوف الشرقيّة» و«صناعة الجواهر» و«الحياكة» و«القصب» و«التجارة» و«السجاد» و«سكب الأجراس»، إلى ما هنالك من الصناعات التي تتطلّب، بدون شكّ، مهارات فنيّة. وللمشرق في نشر مثل تلك الأبحاث فضل في تسليط الأضواء على نواح من التراث الشرقيّ لمعرفته وإحيائه وصونه.

أمّا الفنون بالمعنى الأكثر شيوعًا، أي «الفنون الجميلة»، ومنها الفنون التشكيلية، فكان نصيبها في المجلّة محدودًا جدًّا، لا سيّما في العقود الأولى. ولئن خُصّصت بعض المقالات بـ «فنّ التمثيل» (٢ : ٢٠ وما يليها، ٤٣ : ١١٨)، و«فنّ البناء في آخر القرن التاسع عشر» (٢ : ٦٦)، و«الموسيقى عند العرب» (٧ : ٨٤٣)، فلا أثر يُذكر لدراسات حول الرسم أو النحت أو الرقص، اللهمّ إن استثنينا، في السنوات التي عقبّت وفاة المؤسس، مقالة مشفوعة بالرسوم للأديب الذوّاق يوسف غصوب بعنوان «يقظة الفنّ في لبنان، نظرة في معرض التصوير والنقش» (٢٩ : ٨٥-٩١)، ومقالة مصوّرة من تحرير «فريق من ذوي الاختصاص» عالجت «مظاهر الثقافة الفنيّة في لبنان» (٣٩-١٩٤١ : ٣٠٩-٣٢١)، وأخرى مصوّرة أيضًا وبقلم الصحافيّ رشدي المعلوف وعنوانها «معرض الفنون الجميلة في المتحف اللبناني» (٤١-١٩٤٧ : ١١٦-١٣٦)، يضاف إليها أربع مقالات أو خمس حول الفنّ المسيحيّ والفنّ الإسلاميّ عامّة.





مقالات تنتقد الشعارات الرئانة وما يواكبها من أفكار ملتبة<sup>(٧٥)</sup>؛ وثبّه، مع سواء من كبة المشرق، إلى مخاطر الاستيطان الصهيوني في أرض فلسطين<sup>(٧٦)</sup>. وكانت لهجته تقسو إذا ما لمس عند الخصم تهجماً يتم على احتقار يطعن الدين في الصميم، أو إذا ما خُيّل إليه أنّ الإساءة مقصودة. من ذلك سلسلة مقالاته في الماسونية التي عنوانها «السّر المصون في شيعة الفرسون»<sup>(٧٧)</sup>، ونقده وريحانيّات أمين فارس الريحانيّ<sup>(٧٨)</sup>، و«بدائع جبران خليل جبران وطرائفه»<sup>(٧٩)</sup>. إلّا أنّ المجلة ظلّت على مرّ عهدها تراعي آداب الجدل بموجب المسلكيّة التي أكّدها شيخو نفسه في إحدى افتتاحياته قائلاً: لكن «ألجأتنا الذمّة إلى معاكسة (بعض المبادئ) الفاسدة، إلّا أننا في هذه المجادلات لم نخرج عن الخطة التي تحرّيناها ونحرّرها إن شاء الله في كلّ آن، وهي مراعاة آداب الجدل، فنقدّ المزاعم الباطلة ونقطع النظر عن الأشخاص»<sup>(٨٠)</sup>. ولقد اعترف خصوم شيخو أنفسهم بتزائه من هذا القبيل، وكان المامون في طليعة من كرموه يوم احتفل بيوميله الخمسينيّ، ويوم شُيع إلى مثواه الأخير<sup>(٨١)</sup>.

ج - ولم تقتصر المشرق على الدفاع عن الدين وتعاليمه، بل هالجت الكثير من الموضوعات الفكرية والاجتماعية معالجة إيجابية بناءة، تذكر

(٧٥) أطلب مثلاً دراسته في ما أسماه «الألفاظ الحرة»، أي الحرّة والمساواة والإخاء، في المشرق ١، (١٩٠٨)، ص ٧٨٧-٧٩٥، ٨٦٣-٨٧٠، ٩٣٢-٩٣٨.

(٧٦) راجع: «الصهيونيّة وغاياتها»، بقلم فرانتس كزائيه (م.ن. ٢٣-١٩٢٥: ١١٧-١٢٤) و«الصهيونيّة، ماضيها وحاضرها ومستقبلها»، بقلم لويس شيخو (م.ن. ١٨-١٩٢٠: ٧٦٨-٧٧٨).

(٧٧) المشرق ١٤ (١٩١١): ٥٧ وما يليها، وقد جُمعت تلك المقالات في كرايس ثمّ في كتاب أعيد طبعه وما زال حتى يومنا (مزوّراً... بالطبع!).

(٧٨) م.ن. ١٣ (١٩١٠)، ص ٣٧٩-٣٩٢ و٧٠٣-٧١٠.

(٧٩) م.ن. ٢١ (١٩٢٣)، ص ٤٨٧-٤٩٣.

(٨٠) م.ن. ٣ (١٩٠٠)، ص ٣.

(٨١) H. Lammens, «Le Père Louis Cheikho», dans *Lettres de Fourniers*, Lyon, 1929 pp. 276-277; 260; G. Levenq, «Le Père Louis Cheikho», dans *Relations d'Orient*,

Paris - Beyrouth, 1927, pp. 140-141.

قليلاً منها على سبيل المثال لا الحصر: «الوطنية» (١٨٩٨ : ٢)، «المحبة ودواعيها» (١٨٩٩ : ٨٣٦)، «المدارس والهيئة الاجتماعية» (١٩٠٨ : ٦٩٣)، «أخطار المهاجرة» (١٩٢٤ : ٧٢٨). وتجدر الإشارة في هذا الباب إلى التطور اللافت مع الأيام في انفتاح المجلة على تيارات كانت بالأمس تناصبها الخصومة. ففي العام ١٩٣٠ نشرت المشرق مقالاً بعنوان «العلم والدين» حرره أستاذ الرياضيات العالية في جامعة بيروت الأميركية، العالم منصور حنا جرداق. ومما قاله الكاتب إن ميدان كل من العلم والدين مختلف عن الآخر، «ولكن العالم المادّي ليس كل شيء في الكون بل هنالك العالم الروحيّ الذي هو أعظم وأسمى وأشرف، وأنه لا نزاع بين العلم الصحيح والدين الصحيح»<sup>(٨٢)</sup>. لقد ولّت الأيام الأوائل التي شهدت مجادلات شيخو وأصحاب الهلال والمقتطف، خريجي الكلية الأميركية المذكورة، وها إن مجلة اليسوعيين تلتقي، في مسيرة جديدة، خصوم الأمس البعيد.

د - والانفتاح الفكري الذي نشدته المشرق أكثر فأكثر بمرور الزمن، كان دأبها منذ البدايات في شؤون ملاقاتها المذاهب الدينية الأخرى. فعلى الرغم من انقضاء الروح المسكونية في مطلع قرنتا العشرين، لم تنجرف مجلة شيخو إلى مستنقعات المجادلات الدينية، لعدم جدواها أولاً، ثم لاحترام الراعب الفاضل آراء سواه، مهما اختلفت، عميق الاحترام. وكان ذلك واضحاً من خلال ذكره الشخصيات الأرثوذكسية أو المسلمة التي يتكلم عليها، ومن خلال نشره مقالات لعدد من تلك الوجوه<sup>(٨٣)</sup>.

ومما ينبئ بذلك الموقف المعتدل، مقالة شيخو التي عتونها «الدين لله والوطن للجميع»، حيث يبين أن الدين الحق لا يفرق، بل يوحد ربيني حتى في ميدان السياسة، ولبلوغ ذلك «لا يحقّ لمسلم أو لنصرانيّ أو

(٨٢) المشرق ٢٨ (١٩٣٠)، ص ٤٢١.

(٨٣) م. ن. ١ (١٨٩٨)، ص ٨٦٥... المرة الوحيدة التي خرجت فيها المجلة عن قاعدتها كانت يوم اضطرت إلى دحض مقال للأرشمندريت فوتيوس ذهب فيه منذهب يسكال في كتابه البروفتسيال، ولم تخرج، مع ذلك، على أدب الرد الرصين: المشرق ٢٥ (١٩٢٧)، ص ٥٦١-٥٦٨.

درزيّ أن يدّعي بحقوق عموميّة لمجرّد كونه مسلمًا أو نصرانيًا أو درزيًا،<sup>(٨٤)</sup>.

لكنّ موقف الاحترام هذا الذي وقفه المشرق من سائر المذاهب، لم يتعدّ في الماضي، على العموم، مجال المجاملة المهذّبة. ومع تقدّم السنين، أخذت المجلّة تشرّع المزيد من صفحاتها للموضوعات التي تعنى بالمسكونيّات أو الإسلاميات، كما تفسح في المجال أمام عدد أكبر من الكتاب غير الكاثوليك وغير المسيحيّين<sup>(٨٥)</sup>. وقد أحصينا في المجلّدات الخمسة والعشرين الأخيرة التي صدرت بين ١٩٥١ واليوم، بضع عشرة مقالة تعالج شؤونًا مسكونيّة أو إسلاميّة، كما أنّه نُشر على صفحات المجلّة عدد كبير من المخطوطات الإسلاميّة من مثل الرسائل الصغرى لابن عبّاد الرنديّ، نشرها العلامة المرحوم الأب بولس نوربا، وأعلام الهدى وعقيدة أرباب النّصي لشهاب الدين السّهروزدقيّ، نشره المطران عبده خليفة، وختم الأولياء للترمذيّ، نشره عثمان يحيى. ولثلاً نظيل في المرض والتعداد من هذا التّيل، نكتفي بإبراز الروح التي تسود الآن مسيرة المشرق والتوجّهات التي تنطلق بموجبيها. فإنّنا نستشّف هذه التوجّهات وتلك الروح من المقالة التي صدرت في المجلّة، وقلم كاتب هذه الأسطر، منذ نحو أربع سنوات، وكان عنوانها «الحوار الإسلاميّ المسيحيّ في لبنان: محاولات عابرة أم إنجازات ثابتة؟»<sup>(٨٦)</sup>. وقد خلصنا في ختام المقال، وبعد رصد الوقائع، إلى ما يلي:

- لقد كُتب على المسيحيّين والمسلمين في لبنان (وبالتالي في المشرق) أن يعيشوا معًا أبناء وطن واحد.

- على كلّ من الأبناء أن يتسه إلى الآخر بالحوار والاحترام والقبول بالتعدديّة، والانتقال من العيش قرب الآخر إلى العيش مع الآخر.

(٨٤) المشرق ٢٤ (١٩٢٦)، ص ٤٧٨.

(٨٥) أطلب، مثلاً، الجدول في الصفحة ٢٤.

(٨٦) م. ن. ٢٧ (١٩٩٣)، ص ٣١٥-٣٢٨.

- ليست المسيحية والإسلام طائفتين، بل هما رسالتان، على كل منهما أن تسمى لا إلى المظاهر السلية وإبراز الفوارق بقدر ما تبتغي التقريب والتلاقي والعمل المشترك.

هذا لقمري ما تصير إليه المشرق في دعوتها إلى الحوار الإسلامي المسيحي. وهذا ما ترجمه أيضًا على جميع الصعد الفكرية، كما نوه بذلك رئيس تحريرها في مقاله «المسيحية والحدثة». الحوار في الغرب والتزاع في الشرق؟<sup>(٨٧)</sup>. قال الأب سليم دكاش: «إن الكنيسة، ومعها المسيحيون الذين يمتلكون الكثير من أدوات الحدثة وأساليبها، مدعوة اليوم إلى مراجعة ذاتية نقدية، لمناسبة انعقاد السينودس من أجل لبنان، تكون مقدمة لوضع مشروع حياتي متكامل يؤالف بين مبطيات الحدثة والمعتقدات الأساسية في الإيمان المسيحي. إنها الدعوة إلى حدث يشارك فيه الجميع من حضارة متقدمة، حضارة تتألف فيها الروح والمادة»<sup>(٨٨)</sup>.

## الخاتمة

مائة سنة من عمر المشرق مضت، والمجلة، بعمونه تعالى، تتابع المسيرة على الرغم مما اعترضها من ضروف الدهر وغيره. مائة حول قد تهذ حول الأجسام، لكنها، بأزر المولى، لم تُعدم معها صحيفتنا القوية على المضى قديمًا، لا بل سعت جهدها للترقي صعدًا. فهل أفلحت؟ إنما الحكم لقرائها والتاريخ. إلا أن ما نلاحظه من حرص كبريات خزائن الكتب، وأئمة البحث، وصفوة المثقفين، على اقتناء مجلداتها التي يربو عدد صفحاتها على الخمسين ألفًا، ليمًا يؤكد أن المجلة أدت دورًا لا

(٨٧) المشرق، ص ٢٩٥-٣١٤.

(٨٨) م. ٥٠. ص ٣١٤.

يُستهان به ولها رسالة عليها أن تاتبعها. فقد أراد شيخو وإخوانه أن تكون صحيفتهم في خدمة مثقفي بلادنا يجدون فيها أجوبة عن تساؤلاتهم، فإذا بالوقائع تشهد أن المشرق بات أشبه بموسوعة، لا بل خزانة مكتملة الأبواب، توفّر للباحثين من جميع المستويات أشمل المعلومات وأدقّها في كلّ مَطْلَب. وقد أريد للمجلة أيضًا أن تكون في خدمة الشرق، فخدمته بالفعل الخدمة النَّصْرَح، وساهمت في نهضته منذ تباشيرها، وأعطت العالم، لا سيّما الغربيّ منه، صورةً مشرّقة عن الشرق وما يمكنه أن يؤدّيه في سبيل الحضارة<sup>(٨٩)</sup>. فمسي أن تظلّ المشرق منارة، وإن متواضعة، تستمدّ نورها من «رحمة إلهنا الذي افتقدنا بها المشرق من العلاء»<sup>(٩٠)</sup>.



(٨٩) كتب العلامة بزيه ده مينار في المجلة الآسيوية بعيد ظهور المشرق ما مفاده: إن ما دفع جامعة (اليوسعين) في بيروت إلى إصدار مجلّتهم الجديدة، هو الرغبة في بثّ روح المنافسة الشريفة المشرفة، والمساهمة، مع أرباب العلوم الأوروبيين، في تقمّ الثقافة في الشرق. فهل يجوز أن نظلّ نهضة البلاد التي كانت يومًا مهدّ الحضارة، وقصًا على الغرب؟ «La pensée dont s'est inspirés l'Université de Beyrouth en créant ce nouvel organe, est une pensée de noble et féconde émulation, désir de concourir avec la science européenne au progrès de la culture intellectuelle de l'Orient. Pourquoi le relèvement des contrées qui ont été le berceau de la civilisation resterait-il le privilège exclusif de l'Occident?» A. Barbier de Meynard, *Journal Asiatique*, mars - avril 1898, p. 345.

(٩٠) إنجيل لوتا ١ : ٧٨.

